" عدم الحنث "

ومن الأخلاق القرآنية الكريمة "عدم الحنث "فيقول سبحانه: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[سورة ص:٤٤].والمعنى: وخذ بيد حزمة من ريحان أو كلأ فاضرب بها ، فيكون ذلك تحلل ليمينك التي حلفتها . والكتاب لم يبين لنا علام حلف ؟ وعلى من حلف ؟ لكن الرواة يذكرون انه حلف على زوجه "رحمة بنت أفرايم " وقد كانت ذهبت لحاجة فأبطأت ، فحلف ليضربنها ان برئ مائة ضربة ، فرخص له ربه - سبحانه وتعالى- ان يأخذ حزمة صغيرة ويضربها بها ، وبذا يتحقق البر فى يمينه رحمة به وبها ،لحسن خدمتها له ، وقيامها بواجباتها المنزلية أثناء مرضه . وفى هذا مخرج ، وفرج ، لمن اتقى الله وأناب إليه ، ولهذا قال – عزوجل – : "...إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ...." . يعنى : وجدنا أيوب صابراً على ما أصابه في النفس ، والأهل ، والمال ، من أذى ، فجازيناه بما فرج كربه ، واذهب لوعته ، وليس في الشكوى إلى الله إخلال بالصبر ، وليس فيه شئ من الجزع ، فهو مثلما تمنى العافية ، وطلب الشفاء .

وقد روى انه كان يقول كلما أصابته مصيبة :"اللَّهم أنت أخذت ، وأنت أعطيت " وكان يقول فى مناجاته : " إلهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ، ولم يتبع قلبي بصري، ولم تلهني ما ملكت يميني ، ولم آكل إلا ومعي يتيم ، ولم أبت شبعان ، ولا كاسياً وإلاَّ ومعي جائع اوعريان . ويقول المفسرين : "فلما اشتد به البلاء ، وطالت به المدة ، وسوس اليها الشيطان قائلا : الى متى تصبرين؟ فجاءت إلى أيوب وفي نفسها الضجر فقالت له : الى متى هذا البلاء ؟ فغضب من هذا الكلام وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة سوط فأمر الله ان يأخذ حزمة من قضبان خفيفة فيها مائة عود ويضربها بها ضربة واحدة ، وبر فى يمينه ، ورحمة من الله به وبزوجه التى قامت على رعايته وصبرت على بلائه ، وهذا من

الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ، ولهذا قال الله تعالى : "...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ...." . يعنى : ابتليناه فوجدناه صابراً على الضراء . نعم العبد أيوب – عليه السلام – انه كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة ، والإنابة ، والعبادة .

وهذا الأمر يعد تكريماً لسيدنا أيوب – عليه السلام – ، ونحن نرى إنه عام لكل من اتقى الله – سبحانه – يجعل له من كل ضيق مخرجا ، وفي كل شدة فرجا . يقول تعالى : ﴿ ....وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ....﴾ [سورة الطلاق: ٢:٣] وان كان الإسلام قد أباح الحنث للمسلم إذا حلف على يمين ورأى غيرها خير منها فليحنث ثم ليكفرن عن يمينه لقول رسول الله- ﷺ -: " من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليحنث في يمينه ثم ليكفرن " . لكن هذا الأمر يعد خصوصية لسيدنا أيوب – عليه السلام، كما هوعام لجميع المسلمين المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب يجعل الله لهم من أمرهم يسرا ، وينجيهم من المزلق ، ويأخذ بأيديهم إلى طرق النجاة ، وسبيل الفرح والنجاح .

كما أن الأمر في هذه الآونة يحتاج إلى التذرع بالصبر الجميل دون ضجر أو ملل ، ولا سأم ولا شكوى إلا لله – سبحانه وتعالى – فالشكوى لله لا تعد ضجراً ، ولا عدم رضا ، إنما هي طلب لتفريج الكرب ، وإزاحة الغمة ، وانفراج الشدة [1] .

1- تفسير المراغى جـ ٨ ، ص ١٢٦ .
- صفوة التفاسير جـ٣ ، ص ٦١ .
- تفسير القرطبي .
- تفسير أبوالسعود .
- الكشاف للزمخشرى .
- حاشية الجمل .